**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**المحاضرة رقم : 05**

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**التعريف بالروائي المصري نجيب محفوظ :**

ـ ولد نجيب محفوظ بالقاهرة المعزيّة في ديسمبر 1911 م في حيّ الجماليّة القريب من مسجد الحسين والأزهر الشّريف، نشأ في أسرة محافظة. انتقل إلى منطقة العباسية وهو في سن الثانية عشرة، وبعد الانتهاء من مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي؛ التحق بكلية الآداب سنة 1930 م وتخرج من قسم الفلسفة سنة 1934م، تنقّل في العمل بين الجامعة ووزارة الأوقاف ومؤسسة السّينما وجريدة الأهرام وقد بدأ حياته الفنية بالترجمة، فنقل عن الإنجليزيّة كتاب مصر الفرعونية مما دفعه إلى تأليف قصص تاريخيّة. وأوّل أعماله القصصيّة مجموعة (همس الجنون) 1938 م ثم تبعت تلك المجموعة ثلاث روايات تاريخيّة تدور جميعا حول التاريخ الفرعوني وهي:

(عبث الأقدار) 1939 و(رادوبيس ) 1943 و(كفاح طيبة ) 1944 وانتقل نجيب محفوظ بعد ذلك إلى الرواية الواقعيّة الاجتماعيّة التي عالج فيها مشاكل الطبقة الوسطى في النصف الأول من القرن الماضي، وهذه الروايات هي: (القاهرة الجديدة) 1945، (خان الخليلي) 1946، ( زقاق المدق)1947، (السراب) 1948. والتي توّجت بثلاثيّته الشّهيرة: (بين القصرين) 1956، (قصر الشّوق) 1957، (السّكريّة) 1957. وبعد ذلك واصل انتاجه الإبداعيّ يعالج فيه قضايا المجتمع المصريّ في الحقبة الّتي أعقبت الفترات السابقة بطريقة رمزية: (اللص والكلاب) 1961، (السّمان والخريف) 1962، (ميرامار) 1967، (أولاد حارتنا) 1967. هذه الأخيرة الّتي أثارت جدلا كبيرا ولم يسمح بنشرها في مصر إلا بعد وفاته.

لم يغادر مصر طوال حياته إلا مرتين الأولى إلى يوغسلافيا والثانية إلى اليمن ولفترات قصيرة.

تحصّل نجيب محفوظ على جوائز عديدة وطنيّة وعربيّة وعالميّة لكن أهمّها جائزة نوبل للآداب عام 1988 .

وبذلك يعدّ الأديب العربي الوحيد الذي نال مثل هذا التقدير العالميّ.

وفي 14 أكتوبر 1994 تعرض لاعتداء إجرامي كاد أن يودي بحياته وقد أثّرت هذه الحادثة سلبا على صحته.

توفي عام 2006 صباحا بمستشفى الشرطة بالعجوزة (القاهرة) وشيّع في جنازة شعبية من مسجد الحسين -حسب وصيته – وأخرى رسمية من مسجد آل رشدان. ترك لنا نجيب محفوظ حوالي اثنتين وثلاثين رواية وثماني عشرة مجموعة قصصية، وقد ترجمت أعماله إلى ثلاثين لغة في العالم (إلى غاية 2002 )، على حّد قول مارك لينز رئيس قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتمّ تحويل ثلاثين رواية إلى أفلام سينمائية أومسلسلات تليفزيونية، وأعمال مسرحية. منها (خان الخليلي) و(الحرافيش) و(اللص والكلاب) و(ثرثرة فوق النيل) والثلاثية (بين القصرين)و (‏السكرية) و(‏قصر الشوق) و(السراب) و(السمان والخريف) و(مرامار) وغيرها.

**تلخيص رواية زقاق المدقّ :**

رواية " زقاق المدقّ " (1947) من أشهر الرّوايات التي كتبها الأديب العالميّ نجيب محفوظ (1911ـ 2006)، فهي أول رواية ترجمت إلى لغة أجنبية وهي أيضا أول رواية حوّلت إلى فيلم سينمائي وهي واحدة من الروايات التي تمثل الواقعية الاجتماعية (القاهرة الحديدة ، خان الخليلي ، زقاق المدق، بداية ونهاية) وعنوان الرواية " زقاق المدقّ " هو اسم لإحدى حارات القاهرة القديمة أو كما يسمّيها الكاتب (القاهرة المُعزية) نسبة إلى مؤسّسها الحاكم المعز لدين الفاطمي ، وهو رابع الحكّام الفاطميين ،والحارة فضاء شعبيّ قديم البنيان يتّسم سكانه بالفقر والإحباط، يعجّ بالتّناقضات الاجتماعيّة بدأ الكاتب روايته بوصفِ المكان كظاهرة اجتماعية وتاريخية في مصر؛ فوصف الزّقاق وصفا دقيقا بمنازله القديمة المهترئة، وحياة سكّانه البسطاء الذين يعيشون فيه، ومَحلّاته التجاريّة ؛ الدكان ، المقهى ، الوكالة وحالة الشعور بالتّذمّر والملل، والروتين الذي يطبع حياة أهل الحارة ، فالشقاء الإنسانيّ يؤطّر المكان بكلّ تجلياته . وبطلة رواية " زقاق المدقّ " هي فتاة مصرية الهَوى و الهُوية تدعى حميدة ، شابّة في ريعان شبابها، غير أنها منقطعة النّسب ، ماتت أمها وتكفّلت بها إحدى صديقات أمّها تدعى في الرواية (أمّ حميدة) ، ترعرعت في حضنها ، وأيقنت حميدة من البداية أنّ هذا الحي بما فيه ساكنته لا يتّسع لها ولطموحاتها المستقبلية ، لما فيه من بؤس وفقر وانحطاط ؛ لأنّها ترى في قرارة نفسها أنّها فتاة مكانتها مع الهوانم، حيث الفخامة والحياة الجميلة التي تتمثّل في أجمل الفساتين وأنفس الحُلي ، فترى في نفسها أنّها تستحقّ حياةَ أفضل من هذه . ففكّرت في مَخرج من حالة البؤس بأيّ ثمن ، في البداية تقدّم لها أحد شباب الحي لخطبتها وهو (عباس الحلو) شاب يمتلك صالون حلاقة ؛ رغب فيها زوجة له ورضيت به ورضي بها وقرأ عليها فاتحة الكتاب بحضور الشهود وأمّها بالتبني (أم حميدة) ، يجني من عمله البسيط قوت يومه، يُؤمّن له دخلا يعينه على درء الجوع ، ويقع هذا الصّالون بجانب محلّ لبيع البسبوسة ، لصاحبه (العمّ كامل) وهو عجوز دائم التّذمر من الحياة ، وفي موقف مفاجئ قرّر عبّاس الحلو أن يبيع أثاث صالون الحلاقة الذي لا يؤمّن له لقمة عيش محترمة خاصة مع زوجة المستقبل حميدة ، ورأى أنّ من الأفضل له أن يلتحق بمعسكر الإنجليز في الشمال بحثا عن فرصة عمل قد تكون أحسن دخلا ، تُساعده على كسب المال الوفير وتأمين حياة سعيدة لحميدة التي حرمت منها طوال حياتها السابقة في المدق. ضحّى عبّاس بالزّقاق وضحى بصالونه من أجل حميدة التي لم تقتنع أبدا بمحاولته هذه، ولم يكفِها ارتحاله وتحمّله لكلّ هذه المشقّة لأجلها، فاستمرّت تبحث عن حلّ جاهز وسريع كي يُدخلها العالم الذي كانت تحلم به، دون أن تضطرّ إلى انتظار عباس ونتائج مغامرته ، وبغتة ظهر لها ما كانت تسعى إليه ؛ جاءها رجل غريب عن زقاق المدقّ يدعى فرج إبراهيم ظلّ يطاردها بنظراته من القهوة المُقابلة لنافذتها وتمكّن من استدرجها خارج المدق، اعتقدت أنه فارس أحلامها ,أخير استسلمت لخدعته وتمكّن من إقناعها بالعمل في أحد نوادي الجيش الإنجليزي وكان له ذلك. وتتوالى أحداث رواية زقاق المدقّ ويستمرّ سعي حميدة وراء المال، والملابس الفاخرة، والعطور الراقية فنالت حياة الرفاهية ، وحققت ما اشتهت من المال بعد أن باعت شرفها، وغيّرت اسمها إلى (تيتي) ومظهرها، وذات مرّة عاد عباس الحلو في إجازة إلى المدق وسأل عن خطيبته فقيل له إنها غادرت المدق وانقطعت أخبارهافراح يبحث عنها في شوارع القاهرة حتى صادفها ذات مساء وهي تمتطي عربة فناداها بصوت عال فلم ترد عليه ، وراح يجري وراء العربة حتى نزلت منها ودخلت حيث تعمل في النادي وقد تغيّر فيها كلّ شيء فتخلّت عن ملايتها وشبشبها وسلوكها واسمها وأخلاقها.. وبعد أن دخل إلى المكان وجدها تعمل مع الجنود الإنجليز وفي موقف مُخلّ فاستشاط الرجل غضبا وصوّب نحو وجهها زجاجة خمر فشجّه وسالت منه الدماء، فكان ردّ فعل الجنود الإنجليز الحاضرين أن أجهزوا عليه ضربا ثم صوّب أحدهم مسدسه نحوه فقتله وهو يصيح (ياحسين) قد يقصد حسين كرشه رجل الفتوة و ابن الحي وصديق الطفولة الذي كان يرافقه .. وقد يكون يقصد أيضا سيّدنا الحسين أحد أبناء آل البيت دفين مدينة القاهرة . وفي عام 1963، حوّلت رواية (زقاق المدق) إلى فيلم سينمائي من إخراج المخرج المصري حسن الإمام ، مع تصرّف في نهايتها السينمائية ، هذه المرّة تموت البطلة حميدة، وليس عباس الحلو كما هو الحال في الرواية ، حتى تتناغم نهاية الرواية مع أفعال الشخصية ذات الذهنية الشرقية العربية (الجاني هو من يتحمّل وزر ما فعل)، وتتكوّن الرواية من مُركّب قصصي أي مجموعة من القصص ولكن يجمعها قاسم مشترك فيما بينها في الأخير ويتمثل في شخصية حميدة كمكوّن أساسي يحرّك أحداث الرواية من بدايتها إلى نهايتها وهذه القصص هي : (عباس الحلو وحميدة)، (المعلم كرشة وزوجته)، (الشيح رضوان الحسيني وزوجته)، (الشيخ درويش والراديو)،( زيطة والدكتور بوشي)،( جعدة وزوجته حسنية الفرانه)،( فرج إبراهيم وحميدة)، (سليم علوان وحميدة)

**الفضاء الروائي :**

يُعرّف الناقد المغربي حميد لحميداني الفضاء بأنّه مجموع الأمكنة ،وبذلك يشكّل الفضاء وعاء لشخصيات الرواية وصراعاتها ، واستهلّ نجيب محفوظ أحداث روايته من خلال وصف المكان وأهميته التاريخية والاجتماعية فـ " زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة، وأنه تألق يوما في تاريخ القاهرة المعزية كالكوكب الدري. أي قاهرة أعني؟ الفاطمية؟ المماليك؟ السلاطين؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار".يعتبر الفضاء الروائي لرواية (زقاق المدق) مختبرا حقيقيا لإبداع نجيب محفوظ فهو اختار القاهرة القديمة مسرحا لأحداث روايته انطلاقا من واقعها الاجتماعيّ البائس نحت شخصياته الروائية التي اختارت الانحراف منهجا في حياتها بدافع الفقر والقهر الاجتماعي، فزقاق المدق يمثّل فضاء الهامش بكلّ تجلياته المصرية لما يتفشى فيه من انحراف أخلاقيّ وآفات اجتماعيّة كالفقر ، والشّذوذ، والملاسنة ، الحسد، والخيانة ،والدعارة، وتعاطي المخدرات، وانقطاع النسب، والتّسوّل ، والاحتيال، والسرقة ،والاحتقار، والاستغلال ،والعنف الزوجي، والتّجسس، والقذارة، والسّخرية، والإهانة ، والطيرة والأمية .. بهذه المفارقات الاجتماعية حرص الكاتب على تأسيس فضائه الروائي الذي يتراوح بين الفضاءات المفتوحة والفضاءات المغلقة ، فالمدق يعدّ فضاء عاما مفتوحا وجامعا للفضاءات الأخرى المغلقة ، كمقهى المدق ، وفرن جعدة، ودكان العم كامل ، ووكالة سليم علوان وخربة زيطه ، وبيت رضوان الحسيني ونادي الجيش الإنجليزي وغيرها من الأمكنة المغلقة ..وكلّ هذه الأمكنة تؤدي وظيفتها الاجتماعية في حياة المدق غير أنّ الفضاء العام الذي يتمثل في زقاق المدق هو فضاء ذو قيمته تاريخية الذي به استهلّ الكاتب روايته فهو ذو شأن في الزمان الغابر والآن صار مكانا هامشيا مترهلا تعيش فيه بقايا من المجتمع المصري يعجّ بكلّ السلبيات الاجتماعية ومظاهر الشقاء الإنسانيّ . وظّف فيه نجيب محفوظ اللغة الوسطى التي تناسب هذه الطبقة الاجتماعية ، فكانت اللغة العامية المصرية والعربية الفصحى وحتى بعض الكلمات الإنجليزية كلّما ضرورة سياق الأحداث الروائية إلى ذلك .

**الزمن الرّوائي :**

تدور أحداث الرواية زمن الحرب العالمية الثانية حيث تدور أحداثها بين عامي 1945ـ 1946 ، ففي مثل هذه الظروف تتدهور أوضاع الناس ويستبدّ بهم الفقر والحاجة وتسوء حالة كثير من الفئات الاجتماعية خاصة الطبقة الوسطى التي يتراجع مردودها الاجتماعي وأدائها الاقتصادي ، كما تعرف القيم الاجتماعية تراجعا كبيرا بفعل تداعيات الحرب على أحوال البلاد عموما، ونحاول دراسة الزمن الروائي وفق الإجراءات التي اعتمدتها المدرسة البنيوية عل النحو التالي :

**ـ الاسترجاع Analepses**

وتعني هذه الحركة السّرديّة العودة إلى الوراء ومن الأمثلة ما ذكره نجيب محفوظ وهو يقدّم الشخصية الروحانية الشيخ رضوان الحسيني قائلا : " وقد كانت حياته ـ وخاصة في مدارجها الأولى ـ مرتعا للخيبة والألم ... وابتلي ـ إلى ذلك ـ بفقد الأبناء فلم يبق له ولد على كثرة ما خلّف من الأطفال، ذاق مرارة الخيبة ختى أترع قلبه أوكاد ... انقلب حبا شاملا وخيرا عميما وصبرا جميلا" [الرواية، ص11]

**ـ الاستباق Prolepses**

فإذا كان الاسترجاع هو العودة إلى الوراء إلى الزمن الماضي فإنّ ما يقابله هو الاستباق أو الاستشراف وهو يرتبط بالمستقبل؛ إذ يقفز السارد إلى أحداث استباقية لاحقة لم تقع بعد .ففي موقف عزم عباس الحلو على السفر إلى التل الكبير ليلتحق بالعمل في الجيش راح يُحدّث حميدة زوجة المستقبل ويُمنيها بمسكن هي تختار مكانه بعد عودته " نختار المكان الذي تحبين ، هناك الدّرَاسَة والجمالية وبيت القاضي، اختاري بيتك حيث تشائين !" [الرواية،ص86]

**ـ التلخيص Sommaire**

وهو مرور فترة زمنية طويلة من خلال مساحة نصية قصيرة وعندما استهوت حميدة العجوز سليم علوان صاحب الوكالة ، راح الرجل يبرّر هذه الرغبة بالانتقاص من قيمة زوجته التي قضت حياتها معه قائلا : " كانت زوجه امرأة فاضلة، تتحلى بكلّ ما يحب الرجل من أنوثة وأمومة وإخلاص ومهارة فائقة في شؤون البيت ، وكانت على شبابها مليحة ولودا . فهو لا يأخذ عليها نقيصة واحدة وفضلا على ذلك كله كانت من أسرة كريمة تتفوّق عليه كثيرا في الأصل والمحتد وهو يُقرّ بفضلها جميعا، ويضمر لها ودّا صادقا، ولا يُضايقه إلا استوفت شبابها وحيويتها ،فقصّرت عن مجاراته ، وعجزت عن احتماله . " [الرواية،ص69]

**ـ الوقفة Pause**

وسمّيت بذلك لأن فيها يتوقّف السّرد ليلتقط أنفاسه ويفسح المجال للوصف ، فخبر غياب حميدة المفاجئ كان كالصاعقة على زوج المستقبل عباس الحلو العائد من التل الكبير وهو يحلم بزفافه من حميدة ، وقد أبلغه العم كامل بذلك قائلا "ساد الظلام الزقاق إلا ما يبعث من مصابيح القهوة فيرسم على رقعة الأرض مربعا من نور تتكسّر بعض أضلاعه على جدار الوكالة ، ومضت الأنوار الباهتة وراء خصائص نوافذ البيتين تنطفئ واحدا إثر واحد وأكب سُمّار القهوة على الدومينو و الكومي .. " [الرواية،ص14]

**الحذف أو الثغرة : Ellipse**

وهي تقنية تطرأ في التّسلسل الزمني ، ومن خلالها يسقط الكاتب مرحلة من المراحل الروائية دون إخلال بسيرورة الأحداث والغاية من تسريع السرد كقول عم كامل وهو يرد على استفسار عباس الحلو العائد من التل الكبير بعد غياب طويل عن غياب حميدة "مضى على اختفائها زهاء الشهرين يابني . " [الرواية،ص323]

**المشهد : Scène**

ويتميّز المشهد بتزامن الحدث والنص ، ويعني مسرحة الحدث وهو عبارة عن حوار بين شخصين كالحوار الذي دار بين المعلم كرشة والصبي " مساء الخير يابني

فنظر الشاب وقد نمّت عيناه عن ابتسامة خفيفة وتمتم :

مساء الخير يا سيدي

فسأله بمحض الرغبة في مجاذبته الحديث .

أغلقت الدكان ؟

ولاحظ الشاب أن الرجل يتثاقل كأنما يدعوه إلى التريث ، ولكنه ثابر على مشيته وهو يقول :

أجل سيدي ..

فاضطر الرجل إلى مسايرته ..... " [الرواية، ص49]

**ـ شخصيات رواية (زقاق المدق) :**

يولي الروائي نجيب محفوظ اهتماما خاصا في بناء شخصياته الروائية بداية من اختيار أسمائها ، فالاسم يطابق دور الشخصية والوظيفة التي تضطلع بها في الرواية ، وإذا انحرفت عن دورها فسيختار لها اسما أخر مناسبا لدورها الجديد مثلما حدث لشخصية حميدة ، وقد يختار اسما خاليا من أيّ محتوى دلالي كما الشأن في شخصية زيطه وهكذا .. كما يهتم محفوظ بالبناء الخارجي للشخصية من حيث مظهرها كالطول والقصر ، ولون البشرة ولون الشعر واللباس والملفوظات وطريقة التفكير والمستوى الاجتماعي وماضيها والنشاط التي تضطلع به داخل المجتمع حتى يكون القارئ على دراية بكلّ حركاتها وسكناتها ،تنوّعت شخصيات نجيب محفوظ في انحرافها وكلّها تعيش تحت إكراهات الواقع المعيشي الصعب ، فالشخصية المركزية (حميدة) انحرفت حين انخرطت في أقدم مهنة على وجه الأرض وتحوّلت إلى بضاعة في سوق الدعارة فحوّل الكاتب اسمها إلى علامة تجارية تسمّى (تيتي) ، والمعلم كرشة صاحب المقهى الوحيد في المدق ،وهو رجل مُسن ولكن يتعاطى المخدرات والشذوذ الجنسي مع الغلمان رغم أنّ له ماض مشرّف في مقاومة الإنجليز ، وشخصية زيطة إنسان مخادع ومُحتال ولصّ بمعية صديقه الدكتور بوشي ،وجعدة شخصية مختلّة في بنائها الجسمي فهو ضخامة جسمه غير أن زوجته تنهره وتضربه أمام الناس دون أن يكترث بذلك ،وسليم علوان صاحب وكالة واسم معروف في السوق ،بلغ من العمر عتيا ويطمح في الزواج من حميدة وهي في سنّ بناته دون أن يضع أدنى اعتبار لمشاعر زوجته وأمّ أولاده التي قضت عمرها معه ، وشخصية الحاجة سينية عفيفي التي أغرتها ثروتها ؛ المرأة العجوز المتقدّمة في السن ومع ذلك ترغب في الزواج من شاب يصغرها ،فهي تقارب الخمسين عامًا من العمر. وسبق لها أن تزوّجت في شبابها من صاحب دكان عطور، ولكن زواجهما لم يعمّر طويلا، وقد عثرت لها أم حميدة الخاطبة على رجل. اسمه أحمد أفندي طلبة، وهو موظف حكومي يبلغ من العمر ثلاثين عاما. أي أصغر منها بعشر سنوات. ويرفض دفع مهرها، رغم ذلك شعرت سنية عفيفي بسعادة غامرة بهذا العريس .وإبراهيم فرج الشاب القادم من خارج المدق والذي يقوم بمهنة مُبتذلة لا يقوم بها الشرفاء من الناس في المجتمع ، وقد قسّم نجيب محفوظ شخصياته إلى شخصيات ساقطة في وحل الفساد ، وشخصيات ناجية أمّا عن الفئة الأولى نذكر منها

المعلم كرشة المدمن على تعاطي المخدرات والشاذ ،حميدة التي صارت تدعى(تيتي)، وزيطة صانع العاهات ، والدكتور بوشي شريك زيطة صانع أطقم الأسنان ، أمّا الفئة الأخرى : عباس الحلو صاحب صالون الحلاقة، العم كامل بائع البسبوسة ، الشيح الصوفي الورع رضوان الحسيني ، وجعدة وزوجته حسنية الفرانة، حسين كرشة ، أم حميدة (بالتبني)والمعروفة في المدق بالخاطبة ، وسليم علوان صاحب الوكالة والراغب في الزواج من حميدة ، وزوجة كرشة وأم أولاده وجدّة أحفاده ، والسيدة سنية عفيفي . تعامل نجيب محفوظ مع شخصياته الروائية على أساس قاعدة أنطولوجيّة مفادها أنّ " كلّ من ينحرف عن النّسق الاجتماعيّ يُعاقب " ومن هنا عاقب حميدة بفقدان جمالها من خلال الضربة التي صوّبها عباس الحلو نحو وجهها انتقاما منها ، ودخول زيطة وشريكه الدكتور بوشي السجن بعد قُبضا عليهما متلبسان بالسرقة ، وفضح المعلم كرشة من طرف زوجته أمام روّاد مقهى المدق ، ومرض سليم علوان الذي فقد رجولته فلم يعد يفكّر في الزواج ثانية على زوجته أمّ أولاده الوفية له . إبراهيم فرج الذي غدر بحميدة وأخرجها من الزقاق نحو سوق الرذيلة ، وشخصية إبراهيم فرحات الطارئة وهو رجل سياسي دون جدوى ، من خلال هذه الشخصيات المتناقضة أخلاقيا واجتماعيا كانت حركة سرد أحداث رواية (زقاق المدق)، تفضح المجتمع وتناقضاته المصرية خلال النصف الأول من القرن الماضي .